فهي تدور ضمن مجال مكاني محدد ، بل ان جدلية الوعي / الزمان لا تأخذ ابعادها ومعناها الا من المجال المكاني ، عند ذلك نصل وبشكل ضروري الى وحدة جديدة ، فالزمان يتلاحم بالمكان ليصبح وحدة جديـــدة زمكان (زمان + مكان) ، وهذه تعني دلالة أرض الوطن في فترة زمنية محددة ، ثم ما تلبث الوحدة الجديدة الزمكانيـــة أن تتلاحم من جديد مع الوعي ، لنصل الى وحدة تكوينية جديدة : وعي / زمكان ، وتدور هذه الوحدة لتمسح وترى شروطا متباينة : شروط الحـــرية ، ثم شروط الاضطهـــاد الحاضر ، وأخيرا شروط الحرية المفقودة المبحوث عنها . في اطار هذه الوحدة المركبة يشير المكان الى حالة الزمان النفسي ، كما انه في الوقت نفسه يشير الزمان النفسي المتضمن للوعي الى شكل المكان .

نتلمس ضمن هذا الاطار « عجوزا » فلسطينية تعيش في فلسطين بعد النكبة ، وهي عجوز مأزومة ، تعاني حالة عصابية متأتية من وجود الحاكم الذي سلب العجوز كل ما عندها . فهناك العجوز والحاكم والعلاقة بينهما محكومة بحالة عصاب ، علاقة نفي . فزوال العصاب مشروط بتلاشي سببه أي الحاكم . ويجب أن نشير هنا الى أن العجوز ليست ذاتا منفردة بل هي رمز لشعب فلسطين ، الشعب الذي يعيش تاريخه والذي يقف في قلب المأساة وليس على ضفافها، وكما أن « أم سعد » تمثل في المستقبل وضع الشعب الفلسطيني الفاعل في أفق محدد ، فان « عجوز » أفنان القاسم ترسم وضع هذا الشعب أمام صدمة ٤٨ .

تتحد الحركة الروائية ودلالتها في « العجوز » بواسطة الاطر الزمانية الثلاثية التي تحكم الحدث الروائي .

الزمن الاول هو الحاضر المعاش ابان النكبة واثرها ، وهو حاضر انتزعت منه كل المقومات الايجابية وترك حاضرا ميتا ، لذلك فان هذا الحاضر على الرغم من غلافه الزماني ليس الا مواتا ، هو الموت في الحياة ، فهو يؤطر واقعا يعني الهوان وفقدان الهوية ، انه حاضر العجز والعطالة ، يرسم أفنان هذا الحاضر بواسطة شخصيـــة العجوز على الشكل التالي :

« وجه محفور : خريطة . التجعدات تلال . الشعر عشب يابس . القامة جذع مكسور . أية تعاسة ! لم تعد تسير بقامة منتصبة . هذه الخطوات الثقيلة التي يموت الخفق فيها رويدا ، رويدا ، لن تتمكن من حملها الى الرابية »(٣) .

تشير مجموعة هذه الرسوم القاتمة الى حاضر عاجز أسود ، مراوحة وانزواء في عالم بائس ظالم تفقد فيها كل الاشياء طعمها ودلالتها ، فالانسان هنا مكبل وعاجز عن تحقيق ذاته ، فهو ليس سيد الاشياء بل ذاتا سلبية ، حتى الشمس هنا تفقد بريقها ، فالحاضر الظالم يجهض حرارتها .

« تطلعت الى الشمس . « الشمس » . عركت شفتيهـــا اليابستين ، خيـــال ابتسامة ، وتقوس حاجباها بكثافة وهما ينوءان بالفكرة . انها شمس الحاضر . أما « شمسها » شمس الماضي الخائن ، ماضيها هي ، فقد انطفأت مثلها تماما ، وأصبحت ليلا دامسا ! »(٣) .

ينسقط شرط الوجود هنا شكله على الاشياء فتفقد معناها الحقيقي وتأخذ معناها هي أي تصبح كلها هالكة ومرة . عالم برود وكهولة ، فالقامة مكسورة والفم كهف دامسة(٤) . وهنا لا يتعلق الانسان بحياة لا يستطيع تحقيق ذاته فيها ، لذلك فهو يتطلع الى تجاوز بؤسه بالموت « كان الموت بالنسبة لها عالم الخلاص ، وهي التي انتهى انتظارها لكل شيء ما عداه »(٥) .